المرحلة الواقعية /الشعر الحـــــــر

الأسباب العامة للنشوء:

1- استطاع الاتجاه الرومانتيكي ممثلاً بشعراء الديوان وشعراء أبولو وشعراء المهجر أن يعكس صورة القلق التي عصفت بالأمة العربية خلال النصف الأول من هذا القرن، وذلك بما جسده من أحلام وعواطف وما عكسه من آمال وطموحات لكنها كانت آمالاً تداعب قلوب الشعراء محاولة أن تقنعهم بجدوى مواقفهم التي تعتمد الأحلام والرؤى بعيدة عن الواقع الذي يصـــدم وجودهم ولا يحقق لهم شيئاً مما سعوا إلى تحقيقه.

2- لقد استفزت نتائج الحرب العظمى الثانية جهود الشعراء واستنفرت مشاعرهم لينظروا نظرة واقعية إلى أمتهم فيجعلوا من الشـــعر ووظيفته الاجتماعية وســـيلة لتجاوز تلك الصـــورة التي استغرقت من حياة أمتهم خمسين سنة أو تزيد.

3- استجابة لكل العوامل الحضارية والفكرية والفنية ولدت القصيدة الحرة لتصبح ظاهرة على يد نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وتتجسد في موضوعاتها وأفكارها اتجاهاً واقعياً يبتعد بها عن تلك الأفكار التي صاغ بها الشعراء عالمهم المنشود، وبنوا بها قصورهم في الأبراج العاجية.

وصارت القصيدة الحديثة تستمد موضوعاتها من مشاكل الإنسان المعاصر وما يعصف به من ويلات وما يفكر به من تعيير نحو حياة أفضل.

النشأة والأسباب والمصطلح:

إذا كانت قصيدة **(الكوليرا) لنازك الملائكة** التي كتبت نهاية عام 1946م وقصيدة **السياب (هل كان حباً)** التي نظمت بعد ذلك بقليل، تمثل أولى محاولات الشـــعراء العراقيين بعد الحرب العالمية الثانية التي تحقق بفضلها انتشار ظاهرة الشعر الحر هذه، فإن هاتين القصيدتين وما تلاهما من قصائد لشعراء آخرين قد سبقت بمحاولات فردية لا يمكن التقليل من شأنها على الرغم من أنها لم تحقق ظاهرة فنية عامة كالتي حققها الشـــعراء العراقيون من ذلك الشـــاعر رزق الله حسون، والزهاوي والريحاني، وكذلك أحمد زكي أبو شادي، وخليل شيبوب الذي نظم العديد من قصائده على طريقة الشعر الحر واستعمل في مقدمة قصيدته الشراع مصطلح **(الشعر المطلق)** مرادفاً للشعر الحر وفرق بينه وبين الشعر المنثور الذي لا وزن له ولا قافية، ومن الشعراء الذين يرد ذكرهم في هذا الميدان علي أحمد باكثير في ترجمته لمسرحية شكسبير (روميو وجوليت) وفي

أولى مسرحياته **(السماء أو اخناتون ونفرتيتي)** عام 1943م، وقد أطلق على محاولاته **(الشعر المرسل).**

حقق كل من نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وغيرهم الاستجابة لظهور الشعر الحر في نهاية عام 1946م، على الرغم مما أثارته هذه المحاولات من جدال بين نقاد العراق أنفسهم، فقد رأى نهاد التكرلي أن البياتي هو المبشر بالشعر الحديث ، ورد عليه موسى النقدي بأن السياب هو صاحب المحاولة الأولى، إذ ينظر السياب على أنه أول من نظم الشعر الحر بينما ترى نازك الملائكة أنها أول من حققت هذا النظم في قصيدتها (الكوليرا).

وهكذا يصبح الشعر الحر ظاهرة أدبية، بعد أن كان محاولات فردية ، ويصير لهذه الظاهرة نظام له منهج، وتوضع كتب تؤرخ لبداياته ويكتب عن مصطلحه وعن الأسباب التي دعت إليه فتضع نازك الملائكة أول كتاب نقدي لهذه الظاهرة ،وهو **(قضايا الشعر المعاصر)** ليكون أول دستور نقدي لها ويثير عاصفة من الردود عليه، ويكون كتاب **(قضية الشعر الجديد)** لمحمد النويهي أول صدى لما تكتبه نازك، ويتصدى لمناقشته الكثير من نقادنا المعاصرين من أمثال محمد مندور، وإحسان عباس، وعز الدين إسماعيل ، ويوسف عز الدين ، وأحمد مطلوب ويكون حصيلة ذلك كله كتب تعالج أصوله وتناقش مسائله.

ومن هذه الكتب **(حوار مع الشعر الحر)** لسعد دعيبس وحركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث لـــ س. موريه بترجمة سعد مصلوح، والشعر الحر في العراق ليوسف الصائغ، ويتناوله بالدراسة الدكتور أحمد مطلوب في كتاب النقد الأدبي الحديث في العراق ويوسف عز الدين في كتابه في الأدب الحديث – بحوث ومقالات.

ويكتب لهذا الشعر أن يقف على أرض ثابتة وأن يكون له رواده من شعرائنا الذين تألقوا في سماء الشعر والأدب كنازك الملائكة، والسياب، والبياتي ،وسعدي يوسف ،وشاذل طاقة ،وصلاح عبد الصبور ،وأحمد عبد المعطي حجازي، وأمل دنقل ،والفيتوري، ومحمود درويش، وسميح القاسم وعشرات غيرهم. ***وينبغي أن نقف على دواعي النشأة لهذا اللون من الشعر:***

لقد وقفت نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) ***تحدد الأسباب الموجبة إلى تحقيقه وردت على الذين يرون أن من هذه الأسباب:***

* ولوع الشباب بالإغراب والشذوذ.
* ضيقهم بأهوال القافية الموحدة.

* ولعهم بالسهولة.

* إن الحركة بجملتها منقولة عن الشعر الأوروبي ولا علاقة لها بالشعر العربي.

ووصفت الشاعرة الرائدة بديلاً لهذه الأسباب فكانت ردودها:

1- رأت نازك الملائكة أن ســـلوك هذا النمط الجديد في النظم ما هو إلا تلبية لحاجة روحية، ولذلك فإن حركة الشعر الحر معقودة بضرورة اجتماعية على حد قولها، فإن المجتمع هو الجذر الأساس لها.

2- ميل القصيدة الجديدة إلى أن تخضع الفن للحياة.

3 ميل الشاعر وحننه إلى الاستقلال بشخصه تلبية لحاجة العصر وتأكيداً لشخصيته الحديثة ليحقق أصالته الفردية وإبداعه الشخصي.

4- نفور الشاعر من النموذج الجاهز في القصيدة سعياً إلى تحقيق التنويع والتغيير.

5- إيثار الشاعر الحديث للمضمون.

ومن هذه الأسباب أيضاً في نظر الشاعر أحمد زكي أبي شادي هو:

1- ما يحققه الشعر الحر من حرية في التعبير واستعمال تكنيكات جديدة حسبما تمليه التجربة الشعرية وموهبة الشاعر.

2- إن هذا الشكل يحقق أفضل وسيلة لصياغة الملاحم والدراما والقصص الشعري.

ولقد تحقق بارتياد هذا الشكل الجديد العديد من *الخصائص الفنية* التي تميز بها ومنها:

* اعتماده الشديد على التعبير بالصورة تعويضاً عن التخفيف من قيود الوزن والقافية ، وتعتمد الصورة الجديدة هذه على مجموعة من الصور الجزئية المركبة التي ترتبط ارتباطاً دقيقاً بعضها ببعض ينتهي بها إلى الوحدة العضوية التي تتشكل منها الصورة الكلية الكاملة.

* اندماجه الكامل في واقع الشعب لأنه شعر واقعي.

* بناؤه الدرامي بما فيه من أحداث وحوار.

* استعماله الكثير من الأجواء والتعابير والمصطلحات الشعبية.

* استمداد موضوعاته من صميم مشاكل الشعب وخصوصاً الطبقات الشعبية وتجسيده لصور الكفاح الوطني.

* اعتماد موسيقاه على التفعيلة الواحدة لا على أساس البيت الواحد.

على أن هذه الخصـائص المميزة للشـعر الحر لم تمنع من توفره على العديد من العيوب التي أصابته:

عيوب الشعر الحر:

1- ***شيوع الغموض الشديد*** الذي يسيء إلى قصيدة الشاعر وربما كان من الأسباب التي تحرك الشـاعر باتجاه الغموض دوافع سـياسـية واجتماعية أو دوافع فنية وحضـارية أو نفسـية ترتبط بشخصية الشاعر وعقده ومزاجه الخاص. وهناك غموض عائد إلى عمق التجربة الشعرية وتعدد دلالاتها بحيث لا يمكن الافصاح عنها بوضوح مثلما هناك تجارب مضطربة لا تبوح بشيء سوى رؤى هاربة وشطحات شاردة وخلط متناثرة من تيارات عدة.

وربما يعود الغموض أيضـاً إلى طبيعة الصـورة الحديثة التي بدأت تحتل موقعاً متميزاً في بنية القصـيدة، ومنها تعداد الأسـاليب الحديثة من اسـتعمال الرمز والقناع والتضـمين والأسـطورة والدراما وغير ذلك مما يصـعب على القارئ فهمها واسـتيعابها. وهي ظاهرة سـلبية لأنها سـلكت طريق الابهام والتعقيد.

2- ***شـيوع ظاهرة التقريرية والنثرية فيه*** ويرجع ذلك إلى ارتباك الأسـاس النظري لموسـيقى القصـيدة الحرة أي أن الشـاعر يعرض الحقيقة دون خيال **ولم تتعدَ أوزان الشـعر الحر الرجز والكامل والرمل والمتدارك.**

3- ***يندرج ضمن العيوب، الواقعية الفوتوغرافية*** بعيداً عن الخلق والإبداع الفني.

ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه العيوب التي لحقت بالقصـيدة الحرة قد تحققت لدى كثير من الشـعر الذي نظم في مرحلته المبكرة وفي قصـائد شـعراء لم يمتلكوا أصـالة فنية تضـعهم في موقع التأصيل والريادة.

الأسباب والخصائص التي ميزت بدر شاكر السياب ونازك الملائكة لريادة الشعر الحر:

لقد حقق شعرهم نضوجاً فنياً من حيث

استعمال إيقاع الأفكار الذي يقوم على التوازي والترديد ليحقق الانسـجام والوحدة ،وللتعويض عن فقدان الانتظام في طول الأبيات وفقدان التقفية .

وكذلك فإنه يستعمل التدفق في الأبيات والمعجم الشعري البسيط

كما يتميز بتجسيد الطبيعة والأشياء والرمز والأسطورة والصورة المأخوذة من الحياة اليومية ***واستعمال الحوار الداخلي والاقتباس*** لكي ينقل الشاعر أحاسيسه وظروف تجربته الشعرية وحالته الفكرية.

على الرغم من إن حركة الشعر الحر قد فرضت نفسها ظاهرة أدبية معاصرة إلا أن روادها ودارسيها ***لم يستطيعوا لحد الآن تحديد مصطلح معين لهذا النوع من الشعر واطلقت تسميات متعددة عليه من شعراء ونقاد لعل من أهمها.***

-صلاح عبد الصبور الذي يرفض تسمية هذا الشعر **بـ(الجديد) أو بـ(المطلق)** لم يضع له مصطلحاً معيناً ويتمنى أن يوفق النقاد إلى إيجاد مصطلح له.

- ويهاجم محمد مندور في كتابه (قضايا جديدة في أدبنا الحديث) الشاعر عزيز أباظة الذي سخر من هذا الشعر وسماه **(الشعر المنثور) أو (النثر المشعور)** أطق عليه محمد مندور **(الشعر الجديد)** وتابعه في تلك التسمية محمد النويهي في كتابه الذي أسماه (قضية الشعر الجديد) الذي رد فيه على الكثير من أراء نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر).

- واطلق الناقد السوداني عز الدين الأمين عليه **(شعر التفعيلة)** ويوافقه في ذلك سعد دعيبس في كتابه (حوار مع الشعر الحر).

-أحمد زكي أبو شادي من أوائل من أطلق على هذا اللون **(الشعر الحر)** كما اطلق عليه **(النظم الحر) أو (النظم أو الشعر المرسل الحر).**

- وسماه الشاعر خليل شيبوب وهو من أوائل من نظموه **(الشعر المنطلق)** على حين سماه محمد عوض محمد **(مجمع البحور وملتقى الأوزان)** وسماه علي أحمد باكثير **(الشعر المرسل).**

- واطلق عليه صالح حسن الجداوي **(الشعر الحر)** حيناً و**(الشعر المتنوع البحور)** حيناً آخراً.

والواقع أن مصطلح (الشعر الحر) لم يكتسب هذه التسمية لدى الشعراء العراقيين الذين وضعوا أصوله كظاهرة أدبية، حتى نازك الملائكة التي وضعت أول دراسة له لم يستقر لديها هذا المصطلح إذ أطلقت عليه (لون جديد، أسلوب جديد، طريقة ...) وذلك في مقدمة ديوانها شظايا ورماد.

أما السياب فقد وصف هذا اللون من الشعر بأنه **(شعر متعدد الأوزان والقوافي).**

بدر شاكر السياب

رائد الشعر الحر

1926 – 1964

ولد في قرية (جيكور) إحدى قرى البصرة، ماتت أمه وهو ما يزال صغيراً أتم دارسته الابتدائية والثانوية في أبي الخصيب في محافظة البصرة ، التحق بقسم اللغة العربية ثم انتقل إلى قسم اللغة الانكليزية وبعد تخرجه عين مدرساً ثم فصل بتهمة عدائه الحكم، سجن وعذب وشرد ثم أصيب بمرض عضال تركه كسحياً لفترة طلب العلاج في بيروت ولندن وباريس إلى أن وافاه الأجل في 24 / كانون الأول / 1964م.

دواوينه: **أزهار ذابلة، أساطير، أنشودة المطر، المعبد الغريق، منزل الأقنان، اقبال، قيثارة الريح، البواكير، شناشيل ابنة الجلبي**، ديوان بدر شاكر السياب، ضم جميع الدواوين، المجموعة الكاملة.

قصيدة قافلة الضياع من ضمن ديوان أنشودة المطر حفظ 6 أبيات الى كلمة ركام طين

أرأيت قافلة الضياع؟ أما رأيت النازحين؟

الحاملين على الكواهل، من مجاعات السنين

آثام كل الخاطئين

النازفين بلا دماءْ

السائرين إلى وراءْ

كي يدفنوا «هابيل» وهو على الصليب ركام طين؟

»قابيل، أين أخوك، أين أخوك؟«

جمَّعت السماء

آمادها لتصيح. كوَّرَتِ النجوم إلى نداءْ

«قابيل، أين أخوك؟»

يرقد في خيام اللاجئين

لعل من أهم الاتجاهات في الشعر الحر التركيز على الاتجاه الانساني ولاسيما الاهتمام بحرية الانسان وحقوقه وكرامته والتركيز على مضامين الاخوة والصداقة والعواطف الانسانية من ذلك قول نازك الملائكة من قصيدة لنكن أصدقاء (حفظ)

لنكن أصدقاء

نحن والعزل المتعبون

نحن والاشقياء

نحن والتائهون بلا مأوى

فضــلا عن شـيوع الاتجاه الوصـفي لمظاهر الطبيعة كافة في الشـعر الحر واللجوء الى اليوتبيا والبحث عن العالم المثالي الخالي من الاحقاد والضـــغائن والظلم، فضـــلا عن ظهور الاتجاه الواقعي والتعبير عن واقع الشـعب والامة ومناصـرة الحق ضـد الظلم واعلان الثورة لتغيير الواقع الى الافضل، ولذلك أصدرت نازك الملائكة ديوانها(للصلاة والثورة) إذ قالت:(بأن الصلاة هي المعادل الموضـــوعي للثورة) وكذلك في كثير من قصـــائد ديوانها (يغير ألوانه البحر) إذ نراها تقول :(حفظ)

متى نصلي

إنما صلاتنا انفجار

صلاتنا ستطلع النهار

تسلح العزل ،وتعلي راية الثوار

صلاتنا ستشعل الإعصار

اما في النقد فإن الريادة فيه كانت لنازك الملائكة دون منازع متمثلة بمقدمة دواوينها من جهة وكتابها (قضايا الشعر المعاصر)1962م،إذ تمثل جهدها في ثلاثة أنماط هي :

1. الكتب مثل قضايا الشعر المعاصر ومحاضرات في شعر علي محمود طه المهندس الذي غيرت عنوانه وسمته (الصومعة والشرفة الحمراء) وكذلك كتابها (التجزيئية في المجتمع العربي)عام 1974م.
2. المقالات المنشورة في المجلات العربية التي لم تضمها كتب مثل مجلة الآداب البيروتية.
3. مقدمات بعض دواوينها ولاسيما مقدمة ديوان شظايا ورماد ومقدمة مجموعتها مأساة الحياة وأغنية للإنسان ومقدمة ديوانها للصلاة والثورة .

وقد اهتمت نازك في كتابها قضـايا الشـعر المعاصـر بالعروض واسـتنبطت العديد من القواعد العروضـــية التي لا تتعارض مع الخليل ،كما تحدثت عن هيكل القصـــيدة الحرة وجعلت لها ثلاثة أصناف هي :الهيكل المسطح والهيكل الهرمي والهيكل الذهني .

كما عنيت باللغة عناية فائقة فالأدب ظاهرة لغوية قبل كل شـــيء والشـــكل لديها مقدم على المضـمون ،فاللفظة لا قيمة لها الا إذا أدت دورها في النسـيج التعبيري للقصـيدة ،كما اطالت الكلام في موضــوع التكرار وجعلته أصــنافا هي: التكرار البياني والتكرار اللاشــعوري وتكرار التنظيم وتكرار التقسيم ،فضـلا عن ابتداعها العديد من المصـطلحات في العروض كالأشطر السائبة والشعر الحر وشعر الشطرين ومصطلحات هيكل القصيدة المسطح والهرمي والذهني وصـــفات الهيكل الجيد مثل التماســك والصـــلابة والكفاءة والتعادل ،لكنها لم تول الصـــورة الشـعرية عنايتها الكافية فعليها تقوم الوحدة العضـوية ،لكنها تميزت بظواهر معينة في الشـعر الحر كالقصـــة الشـــعرية والرمز وتوظيف اســـلوب الحكايا الشـــعبية وتوظيف التراث العربي الاسـلامي ،فضـلا عن أثرها في مجال التأليف والنقد القصـصـي والمسرحي ولاسيما قصـصـها الشـــمس التي وراء القمة ورحلة في الابعاد والى حيث النخيل والموســـيقى في مجموعتها القصصية الاولى الشمس التي وراء القمة ولها نقود روائية عديدة لامجال لذكرها هنا